

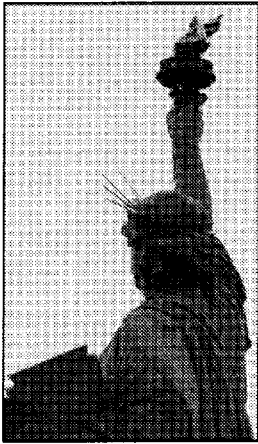
تسارع التغيير في العصر الحديث

إذا كان القرن التاسع عشر هو قرن السيادة للقوى الأوروبية (ومعها الدولة العثمانية من عاصمتها إستانبول) على مسار السياسة العالمية، فإن القرن العشرين - في معظمه - خضع لسيادة وتأثير قوى جديدة، أو متجددة، بدأت تظهر ملامحها مع أوائل هذا القرن في شكل «قوى عظمى» هي: الولايات المتحدة الأمريكية، وروسيا، واليابان، ثم ظهرت بعد منتصف القرن قوى أخرى ذات تأثير مباشر في السياسات الدولية (كالصين).

وعلى الرغم من أن كلاً من هذه القوى العظمى سلك طريقاً خاصاً به مختلفاً عن غيره في تطوره ونموه، إلا أن هناك سمات مشتركة تجمع بينها.. فكل من هذه الدول الثلاث تتمتع «بالوفرة»: في الاتساع، وفي السكان، وفي الإنتاج الصناعي. وقد حرصت كل منها على التركيز الشديد في التصنيع والإنتاج بالجملة، فتحوّلت من دولة زراعية تعتمد اقتصادياتها أساساً على الزراعة، إلى مجتمعات مدنية صناعية تعرضت لتغيرات سريعة متوالية اقتصادياً واجتماعياً، أدت إلى تصادمات بين النظام التقليدي القديم، وبين التحديث الضروري في الأفكار والمؤسسات والنظم. وتعرضت هذه الدول الثلاث أيضاً لفترات متراوحة بين العزلة والانطواء على نفسها، وبين الانغماس في السياسات والمشكلات العالمية.

* الولايات المتحدة الأمريكية :

تنفرد الولايات المتحدة الأمريكية بأنها الوحيدة في التاريخ الحديث في النمو المتطور سريعاً - بلا نظير - خلال أجيال قليلة، فتتحوّل بسلاسة وهدوء من مجتمعات زراعية منكشحة محدودة الأثر، إلى دولة ذات حضارة قارية تملك زمام أكبر وأقوى تركز اقتصادي وحربي في العالم. ولقد استفادت جغرافياً، واقتصادياً، واستراتيجياً مما أضافته إلى مساحتها من



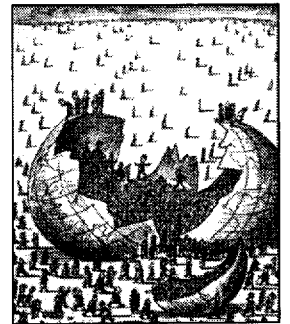
اتساع ، بشرائها ولاية ألاسكا من روسيا (١٨٦١) بمبلغ ٧٢٠٠٠٠٠ دولار! ، ثم جزر هاواي (١٨٩٨) . وبعد حروب طويلة متوالية ضد قبائل السكان الوطنيين (الذين يُطلق عليهم « الهنود الحمر » وأُبيد منهم ملايين) ، واستمرت حتى عام ١٨٩٠ اتسع نطاق المدنية الصناعية ، حتى شمل الغرب الأمريكي كله ، وانحصرت بقايا تلك القبائل الهندية في محميات معزولة قليلة العدد .

وساعد النمو السكاني في الإسراع بالنمو الاقتصادي والاجتماعي :

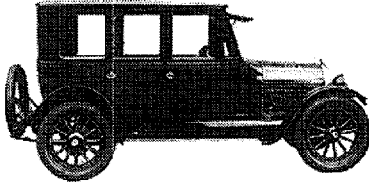
٣٩٢٩٠٠٠	عام ١٧٩٠
١٢٨٦٦٠٠٠	١٨٣٠
٥٠١٥٥٠٠٠	١٨٨٠
٧٥٩٧٤٠٠٠	١٩٠٠
١٠٥٧١٠٠٠٠	١٩٢٠
١٥٠٦٩٧٠٠٠	١٩٥٠
٢٤٨٧٠٩٠٠٠	١٩٩٠

وأضافت الزيادة المستمرة في أعداد المهاجرين إليها قدرات جديدة ، وقوى بشرية منتجة متلاحقة . وابتداء من عام ١٨٨١ زادت هجرة الجماعات البشرية بكثافة من جنوب وشرق أوروبا . وفي الوقت نفسه نشطت الهجرة الداخلية بأعداد ضخمة من الشرق إلى الغرب ، ومن الجنوب إلى الشمال . ولما كان معظم المهاجرين يفضل سكنى المدن ، فقد ارتفعت سريعاً نسبة سكان المدن من ١٦ ٪ عام ١٨٦٠ إلى ٣٣ ٪ عام ١٩٠٠ . وفي عام ١٩٢٠ كانت الغالبية من الشعب الأمريكي تقيم في المدن .

وربما كان هذا التغير الاجتماعي السريع - التحول من المجتمع الريفي الزراعي إلى المجتمع المدني الصناعي - هو أبرز معالم القرن العشرين ، وأبعدها أثراً ، سواء في أمريكا ، أم في بلاد كثيرة غيرها . لكن الهجرات المتلاحقة المكثفة إلى الولايات المتحدة - مع الزيادة السكانية المتوالية - أمدتها



بأيد عاملة قوية ومستمرة ، ساعدت على اكتشاف واستغلال مصادر الثروات الطبيعية الهائلة التى تمتلكها تلك الدولة ، بالإضافة إلى تطور وتسارع نظم الاتصال والنقل والمواصلات ، وأساليب الصناعة والتجارة والتسويق ، مع نمو متلاحق فى الاختراعات والتطبيقات التكنولوجية .. حتى إنه فى عام ١٩١٠ ، بلغ إنتاج الولايات المتحدة وحدها من الحديد والصلب ما يفوق إنتاج بريطانيا وفرنسا وألمانيا والنمسا والمجر معاً . وفى عام ١٩٢٠ أنتجت الولايات المتحدة واستهلكت من زيت البترول نحو ثلاثة أرباع الإنتاج العالمى كله . وظهرت بها صناعات جديدة ضخمة ومتطورة فى أوائل القرن العشرين ، من أبرزها صناعة السيارات .



سيارة أمريكية إنتاج ١٩٢٠



* هنرى فورد

يعتبر هنرى فورد رائد نظرية الإنتاج بالجملة (فى صناعة السيارات) التى غيّرت من نظريات الاقتصاد داخل أمريكا ، وفى العالم كله ، وغيّرت بالتالى فى نظم المجتمع . أصبح « خط التجميع » سمة مميزة فى المؤسسات الصناعية الكبرى .

وإزاء تكتل أصحاب المصانع ورعوس الأموال ذوى السيطرة والحظوة وتركيز الثروة ، وتكوينهم للشركات العملاقة والاتحادات الاحتكارية ، تكوّنت ونشطت نقابات العمال ، لكنها ظلت لفترة أضعف من مثيلاتها فى دول أخرى صناعية ، فوقفت فى مواجهة سيطرة وقوة نفوذ واستغلال أباطرة الصناعة ، إلا أنها تطورت واشتدت مع مرور السنين ، بعد مساجلات ومصادمات مع أصحاب المصانع ، ومالكي الثروة .

فلما صارت الولايات المتحدة القوة الاقتصادية الأولى فى العالم ، كان عليها أن تنظر نظرة جديدة إلى الدول والشعوب والأحداث ، وتدخل فى تيار

مشكلاتها ، بل وتلعب دوراً أكبر في مجال السياسات الدولية .. فانضمت إلى قائمة القوى الإمبريالية ، وغدت عاملاً رئيسياً في الديبلوماسية العالمية ، خاصة أثناء رئاسة تيودور روزفلت (١٩٠١ - ١٩٠٩) ورئاسة وودرو ويلسون (١٩١٣ - ١٩٢١)

* روسيا :

على الرغم من أن روسيا كانت قوة كبيرة مؤثرة في القرن التاسع عشر ، إلا أنها كانت أقل تطوراً ونمواً من الولايات المتحدة الأمريكية بمراحل .. فكان الشعور بالتخلف والنقص ذا تأثير على فكر وآراء الأدباء والسياسيين الروس ، في مقابل الإحساس بالنضج والثقة بالنفس لدى الرأسماليين الأمريكيين .



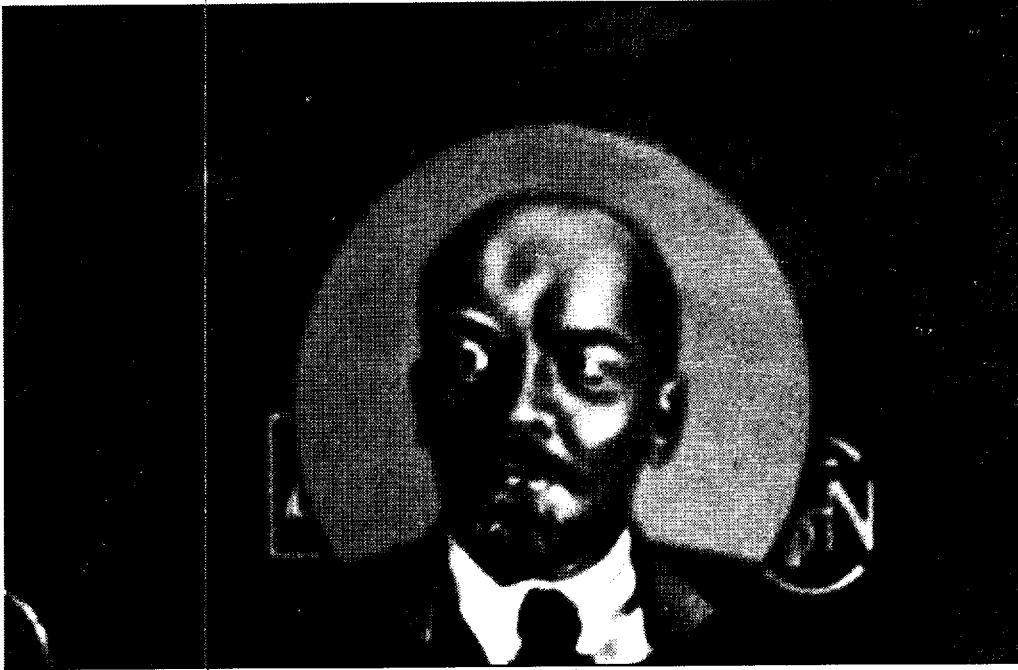
تيودور روزفلت

وشهدت السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر نزاعاً فكرياً بين اتجاهين متغالبين داخل روسيا : بين المناصرين للسلافية ، الذين يرون أن خلاص روسيا يكمن في العودة إلى تقاليد وموروثاتها الدينية الأرثوذكسية ، وبين « المتغربين » الذين يهاجمون الدين ، ويؤيدون كثيراً من الأفكار العملية الغربية المتحررة . وفي غيبة طبقة تجارية ثرية (يسمى البعض بورجوازية) ، لم ينجح التيار الليبرالي المتحرر في أن يصير قوة فعالة وموجهة للسياسة داخل روسيا ، فظلت سلطة الحكم الفردي المسيطر - حتى سنة ١٩١٧ - هي المحددة للمسار الاجتماعي والاقتصادي ، أي تلعب الدور نفسه الذي كانت تضطلع به الحكومات في معظم الدول الكبرى آنذاك .



وودرو ويلسون

كانت المشكلات الزراعية هي الغالبة على أفكار السياسيين والاقتصاديين الروس . تفاقمت تلك المشكلات وتعمقت ، وساءت آثارها بعد أن أصدر « القيصر المحرّر » قانون إلغاء الرق الزراعي (تسخير الأقنان أو عبيد الأرض في الزراعة) بدون الإعداد السليم والملائم لما يترتب عليه . وزاد تعقد المشكلة بارتفاع تعداد السكان في فترة زمنية قصيرة .. ففي المناطق الزراعية من روسيا الأوروبية ارتفع عدد السكان من ٥٠ مليوناً سنة ١٨٦٠ إلى ٨٢ مليوناً سنة ١٨٩٧ ولم يحل المشكلة تهجير ثلاثة ملايين فلاح - حتى سنة ١٩١٤ مناطق نائية في سيبيريا لاستصلاحها . ولم تنجح مشروعات تشجيع الإقامة بالمناطق الجديدة في إيقاف زحف الهجرة إلى المدن وترك الحقول . ولم يكن في المدن مجالات صناعية أو حرفية تستوعب هذه



لنين يخطب في الجماهير

الهجرات النازحة المكثفة غير المدربة . وبدأ تطبيق نُظم ومشروعات ، كان من المقدر لها أن تحقق نجاحاً وتطوراً داخل المجتمع الروسي - الريفي والحضري - إلا أنها لم تُستكمل ، وانهارت بسبب الحرب العالمية (١٩١٤) ، وبسبب الثورة والحرب الأهلية .

حوّلت الثورة الروسية البولشفية الفلاحين (الأرقاء سابقا) إلى ملاك للأرض، ولكن حتى سنة ١٩٢٠ كان الإنتاج الزراعي أقل بكثير مما كان عليه في أول القرن. ثم أحدث برنامج ستالين (بعد عام ١٩٢٩) لتكوين التجمعات الزراعية الإجبارية ، الذي صاحبه قتل جماعي للمعارضين أو المناهضين لسياسته^(١) ، أحدث ردة اقتصادية واجتماعية ، وأعاد شبح الاختلال والفوضى.. فظل الإنتاج الزراعي الروسي متخلفاً بشدة عن إنتاج أوروبا والشمال الأمريكي ، فاضطرت روسيا - التي كانت تصدر الحبوب والغلال قبل الثورة - إلى استيراد الحبوب بكميات كبيرة سنة ١٩٧٠ وما بعدها من الولايات المتحدة - العدو اللدود - وكندا .

(١) ملاحظة عابرة لحين الحديث عن الثورة الروسية : على الرغم من عنف سياسة ستالين الدموية وجبروته وسيطرته القابضة إلا أن الحكايات عنه مبالغ فيها أحيانا ، وقد تغفل ظروف بيئته وعصره والعوامل المحيطة به ، ثم إنه دفع روسيا دفعة قوية نحو التطوير ، وضخم اليهود سوءاته لعدائهم لهم.

إلا أن النمو الصناعي الروسى كان حقاً متزايداً ومُلفتاً للنظر، وهو الذى جعل منها « قوة عظمى » فى القرن العشرين . وكان أساس هذا التطور الصناعى السريع : التمويل الأجنبى ، خاصة من فرنسا ، مع التركيز الصارم على إنتاج المناجم والصناعات المعدنية ، وعلى إنشاء الوحدات الصناعية الضخمة ، وعلى تدخل الدولة بقوة وحزم فى التصنيع .

وقد حقق الإنتاج الصناعى نجاحاً كبيراً ، بمعدل نمو سنوى مقداره ٨٪ فى الفترة بين عام ١٨٩٠ و ١٩٠٦ ، وكذلك بين عام ١٩٠٦ - ١٩١٣ . لكن سنوات الحرب العظمى والحرب الأهلية (بين ١٤ - ١٩٢١) كانت مأساوية بالنسبة للصناعة ، فاضطر الحكم الشيوعى إلى انتهاج سياسة رأسمالية محدودة فى الفترة بين ١٩٢١ - ١٩٢٩ للنهوض من الانهيار الاقتصادى ، فعاد الإنتاج الصناعى إلى مستواه قبل الحرب ، فى الوقت الذى واجه فيه الاقتصاد الغربى أزمته الاقتصادية الشهيرة عام ١٩٢٩ ، فأصبحت روسيا فى مقدمة الدول الصناعية ، واستمر النمو الاقتصادى بها إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية .

فى الفترة بين ١٩٥٠ - ١٩٨٠ ارتفع النمو الاقتصادى الروسى من $\frac{1}{3}$ إلى $\frac{2}{3}$ النمو الاقتصادى الأمريكى . ومع ذلك .. كان الإنتاج الصناعى



ستالين فى سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية .



الاتحاد السوفيتى

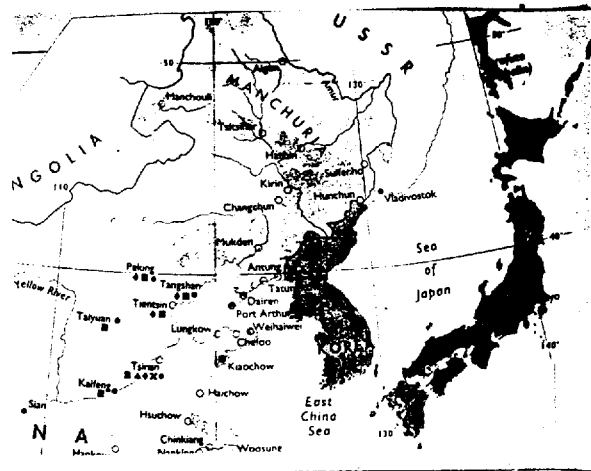
الروسي أقل جودة . ومنذ ١٩٦٠ اضطرت روسيا إلى استيراد التكنولوجيا المتقدمة ، وإلى جذب رأس المال الأجنبي . وشهد القرن العشرون ميلاد حكم النظام الشيوعي (بثورة أكتوبر ١٩١٧) ، وطابعها : « ديكتاتورية الطبقة العاملة - البروليتاريا) ، كما شهد أيضاً انهيار هذا النظام بكامله في ديسمبر ١٩٩١ ، كما سوف يأتي بالتفصيل .

* اليابان :

بدأت الإصلاحات التشريعية والاقتصادية والاجتماعية في اليابان حول عام ١٨٨٥ مع التركيز الشديد على التعليم المجاني .. فلما جاء عام ١٩٠٥ ، كان ٩٠٪ من أطفال اليابان ملتحقين بالمدارس ، وتضاعفت أعداد المدارس الثانوية وكليات التعليم الفني والصناعي ، وتكوّن لليابان جيش كبير حديث التنظيم ، وأسطول بحري متطور .

كان الإصلاح الاقتصادي هو ركيزة التغيرات الكبيرة التي شهدتها المجتمع الياباني في مطلع القرن العشرين . وأشرفت الحكومة بعزم وحزم على برامج التصنيع ، خاصة في مجال الصناعات الاستراتيجية : كإنتاج الأسلحة والذخيرة ، وبناء السفن ، والنسيج . وتضاعفت الصادرات ، وحدث انتعاش اقتصادي ضخم ، ابتداء من عام ١٨٩٥ . وقبل الحرب العالمية الأولى ، زاد إنتاج المصنوعات اليابانية ، وإقبال الأسواق العالمية عليها .

ثم كانت قفزة صناعية اقتصادية في الفترة بين ١٩١٥ - ١٩٢٠ . وفي عام



اليابان وشرق وجنوب شرق آسيا

١٩٣٦ تفوقت اليابان على بريطانيا ، إذ أصبحت المصدرة الأولى للمصنوعات القطنية في العالم . وأدى التطور الصناعى الكبير إلى النمو الحضرى واتساع المدن. وبينما كان ١٢ من سكان اليابان يعيشون فى المدن سنة ١٨٩٥ ، زاد عددهم إلى نسبة ٤٥٪ سنة ١٩٣٤ .

إلا أن صناعات اليابان كانت تعتمد أساساً على الإنتاج الفردى والصناعات الصغيرة . وفى الفترة بين عامى ١٩٢٠ - ١٩٣٠ لم يكن فى اليابان كلها سوى شركتين كبيرتين صناعيتين : ميتسوى Mitsui ، وميتسوبيشى Mit-subishi. لكن نقطة الضعف الكبيرة فى الاقتصاد اليابانى كانت تكمن فى اعتمادها المتزايد على استيراد المواد الخام .. ففى سنة ١٩٣٠ كانت تستورد



نيويورك سنة ١٩١١



من اليابان فى مطلع
القرن ٢٠ .



الصناعة فى
روسيا أوائل
القرن العشرين .

كل احتياجاتها من الفحم ، وكذلك ٨٥ ٪ لمواد الخام للحديد والصلب ، وأيضاً ٧٩ ٪ من النفط ، وجانباً كبيراً من مواد الطعام . وقد دفعها هذا إلى انتهاج سياسة إمبريالية (توسعية مهيمنة) .. فكانت حرب اليابان - الصين (١٨٩٥) انتصرت فيها اليابان . ثم أحرزت انتصاراً آخر على روسيا في غزوها لها عام ١٩٠٤ ، فانتزعت اعتراف روسيا بالسيادة اليابانية على ممر سخالين ، وعلى كوريا التي ضمتها اليابان إليها عام ١٩١٠ .

بهؤلاء الثلاث : الولايات المتحدة الأمريكية ، وروسيا ، واليابان ، كقوى كبرى جديدة أو متجددة ، بدأت تتغير معالم السياسة والاستراتيجية العالمية في أوائل القرن العشرين ، في الفترة التي سبقت نشوب الحرب العظمى عام ١٩١٤ .

* الشرق الأوسط :

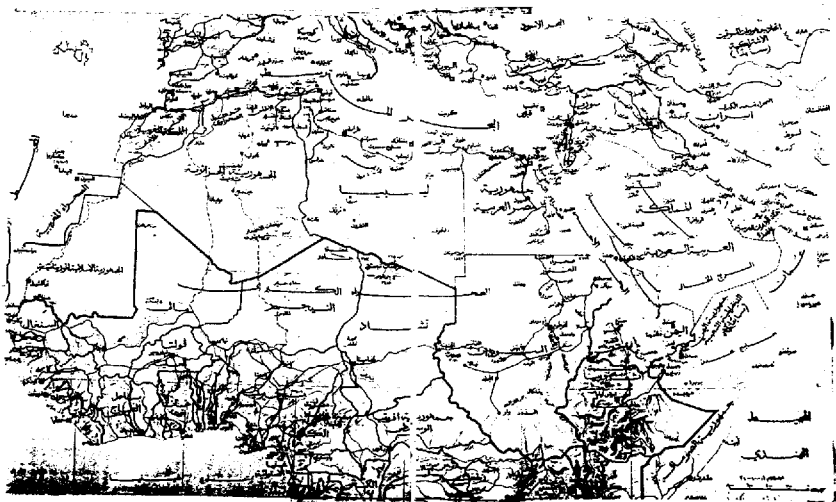
حرصت بريطانيا كل الحرص على أن تضع يدها على أكبر مساحة من منطقة الشرق الأوسط ، لأهميتها السياسية والاقتصادية والدولية (فهي قلب العالم) ، ولتأمين طرق مواصلاتها إلى الهند وشرق أفريقيا ، حيث مستعمراتها المتدفقة بالخيرات . نازعتها في ذلك .. فرنسا (وأحياناً روسيا) ، فاقترسما المصالح فيما بينهما ومناطق النفوذ أو الاحتلال . وقديماً ، كانت السيادة البحرية في منطقة الشرق الأوسط للدولة العثمانية ، حتى إن البحر المتوسط كان يُعرف بأنه بحيرة إسلامية ، إلى أن هزم الأسبان الأسطول العثماني في موقعة ليبانتو (١٥٨٨) قبل أن تظهر قوة إنجلترا البحرية العالمية . ثم ظهر التفوق في البحر المتوسط للأسطول الفرنسي والهولندي .

ولما احتلت إنجلترا جبل طارق (١٧٠٤) أقامت به قاعدة بحرية ، وتفجرت أطماعها التوسعية ؛ فاستولت على ميناء ماهون بجزيرة منورقة



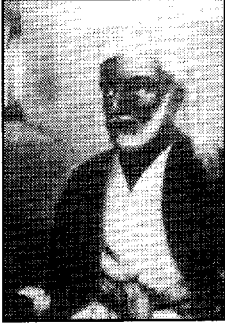
(*) يطلق تعبير الشرق الأوسط على الدول شرقى البحر المتوسط (تركيا ، لبنان ، سوريا ، الأردن ، فلسطين ، مصر) ومعها المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية (الكويت ، البحرين ، قطر ، الإمارات العربية المتحدة ، عمان ، اليمن) ، ويمتد هذا المصطلح أحياناً ، ليشمل السودان ، وليبيا ، والمغرب العربى ، (تونس ، الجزائر ، المغرب) وأيضاً يغطى جزئياً مناطق منضمة للشرق الأقصى : أفغانستان ، إيران ، باكستان ، الهند . ومصطلح «الشرق الأدنى» تدخل فيه بعض هذه الدول شرقى البحر المتوسط مع دول البلقان والدول المطلة على البحر الأسود .

(١٧٠٨)، وأقامت به قاعدة بحرية أخرى ، فأصبحت لها السيادة على القسم الغربي من المتوسط، والقدرة السيادية على سواحل إسبانيا وفرنسا وإيطاليا من الجنوب . لكن موقعة أبو قير البحرية (١٧٩٨) منحت إنجلترا مفتاح السيطرة النهائية على الطرق البحرية المؤدية إلى الهند وآسيا وشرق أفريقيا، والقدرة على تهديد المصالح الفرنسية في الشام (سوريا/ لبنان)، وكذلك القدرة على التصدي لأطماع القيصر الروسى فى الوصول إلى البحار الدفيئة . وعندئذ ارتكزت سياستها واستراتيجيتها الخارجية على تدعيم سيادتها وسيطرتها الكاملة على المنطقة، وإرهاب من تحدته نفسه بالاقتراب منها، أو المساس بخيراتها .



وكانت تركيا (الدولة العثمانية) فى حالة متدهورة من الهزال الشديد، والفساد الأشد، أسلمها إلى الاحتضار . لقد شاخت الخلافة العثمانية وأناخت. وإذا فقدت مقومات القوة والثبات كُبتْ وهوت. واستغرق سقوطها القرن التاسع عشر بأكمله، وبعضاً من العشرين . فالإمبراطوريات الكبرى لا تسقط فجأة بين عشية وضحاها، وإنما ترقع، ثم ترحف، وقد تقاوم وهى تنزف، فإذا ما تلقت ضربة قاضية، وإن كانت واهية، لفظت أنفاسها قائلة : « دَهَبَ عَنِ سُلْطَانِيَّةٍ » .

فى فترة احتضار الدولة « السَّنية » العثمانية، وقفت بريطانيا متربصة مترصدة. وأزعجتها كثيراً تطلعات محمد على باشا وإلى مصر فى التوسع، ومضاعفة قُوَّته العسكرية وأسطوله البحرى ، وبهما هدد تركيا ذاتها،



الأمير سعيد بن
سلطان مؤسس
الدعائم القوية
والأسطول البحري
لسلطنة عُمان .

فأسرعت بريطانيا تقف على باب غرفة « الرجل المريض » الرائد على فراش الموت، لا رعاية له وحماية، وإنما لكي تستأثر هي بالميراث، فأخذت تراقب أنفاسه، وتحاصر حراسه، إلى أن يحين القدر المحتوم في وقته المعلوم . وهكذا، حرصت سياستها بقوة على انتهاز تلك الخطة، مهما كابدت عنثاً وشدة .

وفي منطقة الخليج العربي، كانت بريطانيا أكثر اطمئناناً على مركزها، بعد أن عقدت معاهدات مع أمراء المنطقة، وراح نفوذها يزداد مع الأيام ويقوى، بلا حرج أو خشية من استانبول .. فالدولة « العلية » لم تكن كبيرة الاهتمام بتلك المنطقة، إلا من حيث المظهر السيادي، واتساع مظلة السلطنة. وفي المقابل، لم تكن إدارات تلك المنطقة تكثر بتسلطان الدولة، إلا من حيث الشكل: فالولاء الديني مكفول لخليفة المسلمين .

كانت الهند وجنوب آسيا أقرب إلى عُمان وأقوى في العلاقات من استانبول. في عام ١٨٩١ قادت بريطانيا معاهدة مع الأمير أحمد بن سعيد وإلى سلطنة مسقط « تعهد فيها بالنيابة عن نفسه، وعن خلفائه بالألّا يتنازلوا عن أي جزء من أراضيهم، أو يؤجروها، أو يرهنوها، أو يسمحوا باحتلالها، لأي دولة أخرى غير بريطانيا » . وادّعت بريطانيا أن عُمان محمية بريطانية، إلا أن محكمة العدل الدولية قضت في عام ١٩٠٥ بأن عمان دولة مستقلة .

وفي عام ١٨٩٢ عقدت بريطانيا معاهدة مع كل شيخ من شيوخ الإمارات الساحلية بالخليج العربي. وتعهدت بريطانيا بدفع معونة مالية، مقابل « ألاّ يعقد معاهدة مع دولة أخرى غير بريطانيا أو يتصل بسواها، وألا يآذن لوكيل أية دولة أجنبية بالإقامة في أراضيها، أو يبيعه، أو يؤجره، أو يهبه، أو يآذن لدولة أجنبية غير بريطانيا باحتلاله » .

وكانت قطر جزءاً من إمارة البحرين، وترتبط مع بريطانيا بعلاقات وطيدة. في عام ١٩١٣ قّعت بريطانيا معاهدة مع تركيا « لسحب حاميتها من قطر، والتخلي عن مطالبها في هذه الإمارة » . فلما ظهر البترول في أراضيها، زاد حرص بريطانيا على تثبيت نفوذها وأقدامها في تلك الإمارة .

كانت جُزر البحرين مطمئناً لفارس (إيران)، وتزعم ملكيتها لها .. فعقدت بريطانيا عام ١٨٩٢ معاهدة مع شيخها، تماثل ما سبق من معاهدات مع شيوخ الإمارات الأخرى .



الملك عبد العزيز
آل سعود

أما الأحساء (التى هى الآن جزء من المملكة العربية السعودية)، فكانت تابعة لتركيا، وتخضع لنفوذها، إلى أن أغار عليها - ١٩١٣ - عبد العزيز بن سعود، وطرد الحامية التركية بها. ولما كانت تركيا آنذاك مشغولة بحروبها مع إيطاليا ودول البلقان، فإنها آثرت الخضوع للأمر الواقع، وأقرت ابن سعود والياً على نجد والأحساء. وفي عام ١٩١٥ عقد الإنجليز معاهدة معه «اعترفوا فيها باستقلاله في نجد وملحقاتها، مقابل امتناعه عن الارتباط بعلاقات مع أى دولة أخرى غير بريطانيا، وعلى أن يُخبر بريطانيا عند محاولة أى دولة للتدخل في شئونه» .

والكويت .. كانت أفقر إمارات الخليج في مواردها. وكان أهم ما بها - قبل اكتشاف البترول - ميناءها الطبيعي الذى يُفضل الموانئ الأخرى بالخليج، وهو مدخل إلى العراق، وإلى الجزيرة العربية، وصالح للملاحة طوال العام. فلما ظهرت مطامع روسيا في المنطقة ، والسيطرة على هذا الميناء، وكذلك مطامع الألمان الذين أرادوا أن يجعلوه نهاية خط بغداد للسكة الحديد (الذى تولوا تنفيذه)، أسرع الإنجليز بعقد معاهدة مع أمير مُنَشَقٍّ على الأسرة الحاكمة - ١٨٩٩ - اعترفوا فيها بحقه بالإمارة، واستقلالها، على أن يلتزم بما التزمت به الإمارات الأخرى. وفي عام ١٩٠١ وافقت تركيا على المركز الذى اكتسبه الإنجليز في الكويت، مقابل التعهد بعدم احتلالها، أو إخضاعها لهم. وفي اتفاقية عام ١٩١٣ التى عُقدت بين تركيا وبريطانيا ، اعترف الإنجليز بأن «الكويت تابعة لتركيا ، فى مقابل اعتراف تركيا بشرعية الاتفاقات المعقودة بينهم وبين أمير الكويت» . وفي عام ١٩١٤ قاموا بها وكالة سياسية .

أما العراق ، فكان ولاية تركية كبيرة. يتميز بموقعه الجغرافى، وبثرواته من الأراضى الخصبة، والمياه الوفيرة. لكنه كان من أقل الولايات العثمانية خضوعاً للسلطان، لبُعدِه عن استانبول، وانعزاله بنطاقات من الجبال وبمساحات واسعة من الصحراء .. فكان اتصاله بإمارات الخليج العربى، وبخطوط تجارته النشطة أقوى وأوثق .. فكان من الميسور على الإنجليز زيادة نفوذهم في العراق، خاصة أن أحواله الاقتصادية كانت متخلخة



* صور من إمارات الخليج العربي في مطلع القرن العشرين

متخلفة، وخطوط مواصلاته الداخلية متعثرة سيئة، مع فقر غالب على سكانه. وفوق ذلك .. كان يئن من الفتن والمنازعات التي كانت تشجعها بريطانيا في الخفاء، لتمكن لنفسها فيه، وتبسط نفوذها عليه .